الاستقامة ـخطبة لسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 7-4-1430

إن الحمد، لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، إن الهداية لهذا الدين، والتوفيق له لقبوله، وانشراح الصدر له نعمة من أجل نعم الله على عبده المسلم؛ فعليه وإن خوله الله هذه النعمة، ومن بها عليه أن يقابلها بشكر الله، وذلك بالاستقامة الجادة على طاعة الله، وأن يزين القول بالعمل، والذكر بالتطبيق.

أيها المسلم، إن أمارة المسلم الحق ثباته على دينه ومبدأه، واعتزازه بأصالته وشخصيته الإسلامية، لا يمنعه زمان عن زمان في السير للإسلام والدعوة إليه، ولا يحول بينه وبين عبادة مكان؛ فحيث حل وكان وأين كان وارتحل؛ فهو ملتزم بهذا الدين، مطبق لأحكامه، مظهر لشعائره، حياتها كلها لله: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)؛ فهو ملتزم بهذا الدين، في سره وعلانيته، في مظهره ومخبره، هكذا المسلم الصادق في إسلامه المؤمن القوي بإيمانه، المسلم الصادق في إسلامه، والمؤمن القوي في إيمانه، الإيجابي في انتمائه لدينه.

أيها المسلم، وقد تسأل ما حقيقة الاستقامة التي أمر بها في كتاب الله، وفي سنة محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ فأعلم أخي المسلم، أن حقيقة الاستقامة لزوم طاعة الله، وإتباع شريعته، ولا يكون المؤمن عبدا مستقيما، ولا ينال شرف الاستقامة، إلا إذا كان ثابتا على هذا الدين في عقيدته وعبادته، وفي معاملاته وأخلاقه، وفي تعامله مع أهله وولده، وفي بيعه وشراءه، وفي وسائر أحواله، يكون ملتزما بهذا الدين؛ فيكون عند ذلك من المستقيمين بفضل الله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ).

أيها المسلم، إن الله جل وعلا أمر بالاستقامة في كتاب الله؛ فقال مخاطبا لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)، وقال: (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ)، وقال سفيان بن عبدالله الثقفي: يا رسول الله! قل في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال: "قل آمنت بالله، ثم استقم".

أيها المسلم، وقد جاءت السماء على المستقيمين، ووعدهم بالثواب العظيم: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)، وأمنهم من الخوف؛ فقال: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ).

أيها المسلم، والاستقامة تكون بالقلب واللسان، وسائر الجوارح تبعا لذلك؛ فإذا استقام قلب المؤمن على طاعة الله وخشيته ودعائه والاضطرار والالتجاء إليه، استقامة الجوارح كلها: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها الجسد كله"، هكذا يقول -صلى الله عليه وسلم- واستقامة اللسان لا بد من ذلك؛ فإن اللسان إذا استقام أيضا استقامت الجوارح على الخير؛ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"، وجاء أن الجوارح تكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا؛ فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت، اعوججنا.

أيها المسلم، إن الاستقامة تشمل حياة المسلم كلها في علاقته مع ربه ونبيه، وفي صلته مع نفسه، وفي علاقته بأبويه، وفي صلته في الزوجة بزوجها، والزوج بزوجته، وفي علاقته مع جيرانه، وفي علاقته مع إخوانه، وفي علاقته مع الضعفاء والمحتاجين، وفي عقوده والتزامه في كل الأحوال؛ فيستقيم مع ربه في تعامله مع ربه؛ فهو مطيع له لا عاص له، وهو ذاكر لربه ليس ناسيا له، وهو ذاكر لربه ليس ناسيا له، وهو يعامله بالسر والعلن سواء، وهو يعلم أن الله رقيب عليه مطلع على أحواله كلها مستقيم مع نبيه -صلى الله عليه وسلم- بإتباع هديه، والتأسي به في أقواله وأعماله، وإخضاع هواه بما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم-، معتقدا أن أكمل الهدي، هدي محمدا -صلى الله عليه وسلم- يتذكر قول الله: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)، مستقيم في معاملته لنفسه؛ فهو يزكي نفسه، ويرفعها عن الدنايا، ويأخذها بالحزم في طاعة ربه، وترك المخالفات، ومع هذا؛ فهو يلين لها فلا يحملها مالا تطيق، بلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- أن عبد الله بن عمرو بن عاص يصوم النهار، ويقوم الليل مواصلا دائما؛ فقال: "يا عبدالله بن عمرو: إن صمت، صم وأفطر، وصل ونم؛ فإن لعينك عليك حقا، ولجسدك عليك حقا"، المسلم حقا مستقيم في تعامله مع الأبوين؛ فهو يعاملهما بالبر والإحسان يعملهما بالبر والإحسان في الأقوال والأعمال؛ فأقواله لهما طيبة وأعماله معهما طيبة؛ فهو يقول لهما الحق، وتذكروا قول الله؛ فيتذكر قول الله جل وعلا: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا)، وهو يتواضع لهما، ويطيعهما في المعروف لا سيما عند كبر السن وضعف القوة؛ فهو يبرهما طاعة لله ومرؤة تمكن في قلبه، ونفس وخلق كريم، لا يرجو ببرهما طمع الدنيا، ولا يرجو ببرهما شيئا غير طاعة ربه والتقرب إليه، بعلمه بمحبة الله للبار والمحسن لأبويه، وإن صلته مع زوجته، واستقامته معها استقامة شرعية؛ فهو ينفق عليها، ويعاشرها بالمعروف: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، يحسن إليه: "وخيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"، كما قال -صلى الله عليه وسلم-، يستقيم معها في سيرته الحسنة دائما وأبدا لا يمنعه عن الإحسان إليها كبر سنها، وذبولة شبابها، بل هو يرى لها الحق والمكانة؛ فيحسن إليها في حال قوتها وضعفها، ويتذكر الأيام والشهور والسنين التي عاش معها، هكذا المسلم ذو الفضل والإحسان؛ فلا ينسى المعروف ولا يتجاهله، إلا خب لئيم، ولذا محمد صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم كان خير الناس وفاء مع زوجته مع نساءه كان خير الناس وفاء معهن، تقول عائشة -رضي الله عنها-، وهي تسمعه يذكر خديجة ويثني عليها، ويمدحها في كل الأحوال؛ فتقول يا رسول الله كانت هذه العجوز الشمطاء ذهبت، ورزقت بخير منها؛ فيقول: "كانت، وكانت، وكان لي منها ولد"، تستأذن عليه أختها؛ فيرتاح لخديجة، ويقول: "اللهم هالة بنت خويلد"، يتذكر تلك المواقف والأيام معها، والفضائل التي قدمتها، هكذا الرجال الأحرار الفضلاء والكرماء ذوي المرؤة والأخلاق، بخلاف أرذال البشر عندما يكبر سن المرأة ينساها ويعرض عنها، وربما طلقها، وربما أخرجها من بيتها وأساء عشرتها، وما كأن معروف، وأيام كانت، إن الزوجة أيضا مطلوب منها الاستقامة في حال خدمة الزوج، والقيام بحقه سواء في مستوى سنه أو كبر سنه في صغر سنه أو كبره؛ فترعاه حق الرعاية، وتحسن إليه، تحفظ أسراره، وتكون أمينة على بيتها وأولادها، أمينة على فراشه، أمينة في كل الأحوال، هكذا المرأة الصالحة تعامل زوجها بالخير: (فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ).

أيها المسلم، وإن المؤمن أيضا لا يستقيم مع جيرانه بادر بالمعروف كافا للأذى غاضا بصره عن تتبع العثرات والعيوب، يتذكر قول النبي: "لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه"، ويتذكر قوله: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليحسن إلى جاره"، وفي لفظ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جيرانه"، إن صلته بإخوانه وأصدقائه وأصحابه صلة الخير والمودة كفى الأذى وبذل المعروف والإحسان، والتغاضي عن العيوب والنقائص، إن صلته بمجتمعه المسلم، صلة المسلم الذي يحب الخير لأهل الإسلام؛ فهو يستقيم على طيب الأخلاق، وحسن الأخلاق وبذل المعروف، والنصيحة والإرشاد لكل خير، إنه يستقيم مع الفقراء والمحتاجين؛ فيصل من يحتاج أن يصله، ويواسي من يحتاج إلى الصلة، ويقول بالمعروف، داعيا إلى الخير، محبا للخير، ساعيا في سد حاجات المسلمين؛ فالساعي على الأيتام والأرملة كالصائم الذي لا يفطر، وكالقائم الذي لا يفتر،

إنه مستقيم في عقوده، الذي عاقدها، وفي عهوده الذي التزمها؛ فلا يخون بعهد، ولا ينقض ميثاق؛ فأي عقد أبرمه مع أحد أوفى بعقده: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)؛ فيحافظ على العقود، ولا يخون بها، ولا يخدع، ويعامل الناس كما يحب أن يعاملوه. إن استقامته أيضا مع ولاة أمره بمحبة الخير لهم، وبذل النصيحة لهم والكف عما لا يعنيه من الأمور، التي لا خير فيها؛ فهو مستقيم في تعامله بالسمع والطاعة في المعروف، وبذل النصيحة لكل خير، ويسعى جهده في ذلك هكذا استقامة المسلم تشمل حياته كلها؛ لأنه مؤمن آمن بالإسلام عقيدة ومبدأ وأخلاق وسلوكا، إنه مستقيم في بيعه وشراءه؛ فلا تراه غاشا ولا مخادعا ولا كذابا، بل صادقا في بيعه صادقا في شراءه صادقا في مواعيده صادقا في وفاء الحقوق؛ فالحقوق التي عليه هو مستقيم بالوفاء بها وإعطاء كل ذي حق حقه، ويتذكر قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مطل الغني ظلم تحل عرضه وعقوبته"، يستقيم على الوفاء بالحقوق وأداء الحقوق، التي عليه كما يطلب الحقوق التي له؛ فهو مستقيم على الطريق المستقيم، هكذا حياة المسلم كلها خير، وكلها دعوة، وكلها إحسان، وكلها تعامل بالخير وسعي في يعود على نفسه، وعلى مجتمعه وعلى أهل بيته بالخير مستقيم في تعامله مع أولاده؛ فهو يربيهم التربية الحسنة وينفق عليهم وسعى جاهدا في إصلاحهم لا يفرق بينهم، ولا يوقظ نار العداوة بينهم، بل يسعى في جمع كلمتهم، وتوحيد صفهم، مستقيما في تعاملهم بالخير، هكذا يكون المسلم في حياته كلها.

أيها المسلم، إن سبب هذه الاستقامة تدبر كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ ففيهما الخير والصلاح والهداية لكل خير، إن الالتجاء إلى الله، والاضطرار بين يديه في أن يثبت الله قلبك، ويرزقك الثبات على الحق والاستقامة عليه، كان محمد -صلى الله عليه وسلم- يكثر أن يقول: "اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"، يسأله ويقول: "إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمان يقلبهما كيف يشاء، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه"؛ فعياذ بالله من زيغ القلب، إن المسلم أيضا يحمله على الاستقامة تدبر القرآن والعمل به؛ فإن القرآن ثبات لقلب العبد، وأخبر جل وعلا أنه أنزل القرآن منجما على قلب النبي قال: (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا)، وأخبر أن القرآن أيضا ثبات لأهل الإيمان؛ فأهل الإيمان يعمل بالقرآن؛ فالقرآن يثبت أقدامهم، ويثبت قلوبهم ويصلح شأنهم.

أيها المسلم، ذكر الله جل وعلا دائما وأبدا فيه حياة القلوب، واستقامتها على الخير: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

فأسأل الله أن يرزقنا وإياكم الاستقامة على الطريق المستقيم، وأن يثبتنا عليه إلى أن نلقى الله غير مبذرين ولا مغيرين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، هذا إسلامكم الحق كما دل الكتاب والسنة عليه؛ فتمسكوا بهذا الدين لتنجوا من الزيغ والضلال والانحراف والفساد، تمسكوا بهذا الدين طمعا لما وعد الله المؤمنين به من الثواب

العظيم، وتدبروا وعيد الله للمخالفين ليكون سبب في صلاح قلوبكم وأعمالكم، تمسكوا بهذا الدين مهما تغيرت الأحوال وتعاظمت الخطوب؛ فإن هذا الدين التمسك به نجاة وسعادة في الدنيا والآخرة، لا تغرنكم الشهوات، ولا يكدر صفوكم الشبهات، ولا المغريات، ولا الضلالات، تمسكوا بهذا الدين حقا، واسألوا الله الثبات عليه، إن المسلم إذا استقام على هذا الدين في كل أحواله يرى ... حقا، والاعتدال الحق البعيد عن الإفراط والتفريط، وعن الغلو والجفاء، يرى الحق على حقيقته؛ فلنستقم على دين الله في كل أحوالنا، قليلها وكثيرها، صغيرها وكبيرها، لنكون من المؤمنين حقا، إن حقيقة الإيمان إن الإيمان ليس دعوا ادعا، ولكنها حقائق تترجمها الأعمال قال الحسن -رحمه الله-: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكنه ما وقر بالقلب وصدقه العمل؛ فالاستقامة حقا إنما تكون فيمن عمل بشرع الله، وصدقه في واقعه على نفسه وعلى بيته وعلى مجتمعه؛ فظهر بذلك أنه مستقيم على الحق، لا يستقيم على ... شيء، بل يستقيم على هذه الشريعة بأكملها على قدر استطاعته، منفذا لأوامر الله مجتنبا لنواهي الله، أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد والاستقامة على الخير إنه على كل شيء قدير.

واعلموا -رحمكم الله-، أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ، شذ في النار.

وصلوا - رحمكم الله- على عبد الله ورسوله محمد كما أمركم بذلك ربكم قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وارض اللهم عن خلفائه الراشدين الأئمة المهديين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين واجعل اللهم هذا البلد آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين، اللهم آمنا في أوطاننا و أصلح أأمتنا وولاة أمرنا، اللهم وفقهم لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم وفق إمامنا إمام المسلمين عبد الله بن عبدالعزيز لكل خير، اللهم أمده بعونك وتوفيقك وتأييدك، اللهم أره الحق حقا وارزقه إتباعه وأره الباطل باطلا وارزقه اجتنابه ودله على كل عمل تحبه وترضاه، واجمع به كلمة الأمة على الخير والصلاح، اللهم شد أزره بولي عهده سلطان بن عبدالعزيز، اللهم سدده في أقواله وأعماله وبارك له في عمله وعمره إنك على كل شيء قدير، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلته علينا قوة لنا على طاعتك وبلاغ إلى حين، اللهم كما تفضلت علينا بهذا الغيث المبارك فبارك لنا فيه إنك على كل شيء قدير، واجعله عونا لنا على طاعتك إنك على كل شيء قدير، وعم به أخواننا المسلمين إنك على كل شيء قدير يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون؛ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على عموم نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.